

السؤال

هل مقولة : أنا وأعوذ بالله من كلمة أنا , لها أصل في الشرع ؟ وما حكم قولها ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

استعمال كلمة " أنا " على وجهها الأصلي ، في التعريف بالشخص ، أو دلالة الإنسان على نفسه ، أو نحو ذلك : هو من مقتضيات الخطاب ، وضرورات اللغة ، التي لا يكاد يستغني عنها الناس في معاشهم ، وتحاورهم . ومثل هذا لا يمكن أن يذم لذاته ، أو يرد الشرع بمنعه . هذا لو لم يرد ما يدل على جوازه استعماله ، ووقوع ذلك من نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وخيار الصالحين من بعده . فكيف ، وقد ورد استعمالها فيما لا يحصى من الأدلة والنصوص الشرعية . قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إِنْ أَتَقَاكُمْ وَأَعَلَّمَكُم بِاللَّهِ أَنَا) رواه البخاري (20) ، وفي رواية : (أَنَا أَتَقَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَعَلَّمَكُم بِحُدُودِ اللَّهِ) رواه أحمد (23682) ، وصححه الألباني في "الصحيحة" (329) . وقال صلى الله عليه وسلم : (أَنَا سَيِّدٌ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم (2278) . وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) الكهف/22 قال: " أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله ، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم " . انتهى من "تفسير الطبري" (642 /17) .

ثم قد يقترن بقولها من قصد القائل ، وحاله : ما يقتضي مدحه على قوله أنا ؛ كما لو قالها في مقام التواضع والانكسار لله ، والاعتراف بالذنب ، والفقر والحاجة إلى رب العالمين . وفي حديث الاستفتاح : (اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّي ، وَأَنَا عَبْدُكَ ، ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي ، فَاعْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) رواه مسلم (771) .

وعلى عكس ذلك : قد يقترن بقولها من قصد صاحبها ، وحاله : ما يقتضي الذم على قوله ، والتأديب عليه ، والمنع منه ، في مثل ذلك المقام .

قال ابن القيم رحمه الله :

"وَلِيَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ طُغْيَانِ "أَنَا" ، "وَلِي" ، "وَعِنْدِي" ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الثَّلَاثَةَ ابْتُلِيَ بِهَا إِبْلِيسُ وَفِرْعَوْنُ ، وَقَارُونُ ، (فَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) لِإِبْلِيسَ ، وَ (لِي مُلْكٌ مِصْرَ) لِفِرْعَوْنَ ، وَ (إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) لِقَارُونَ .
وَأَحْسَنُ مَا وُضِعَتْ "أَنَا" فِي قَوْلِ الْعَبْدِ: أَنَا الْعَبْدُ الْمَذْنِبُ ، الْمُخْطِئُ ، الْمُسْتَغْفِرُ ، الْمُعْتَرِفُ .
وَنَحْوِهِ : "لِي" ، فِي قَوْلِهِ: لِي الذَّنْبُ ، وَلِي الْجُرْمُ ، وَلِي الْمَسْكَنَةُ ، وَلِي الْفَقْرُ ، وَالذُّلُّ .
و"عِنْدِي" ، فِي قَوْلِهِ: "اغْفِرْ لِي جِدِّي ، وَهَزْلِي ، وَخَطِيئِي ، وَعَمْدِي ، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي" انتهى من "زاد المعاد" (2/ 434-435) ،
وينظر : "معجم المناهي اللفظية" للشيخ بكر أبو زيد ، رحمه الله (150) .

والحاصل :

أن مجرد قول العبد "أنا" لا يشرع الاستعاذة بالله منه ، بل تكلف ذلك ، كما في العبارة الواردة في السؤال ، في عموم الأحوال : أشبهه بتنطعات الطريقة والصوفية ، وتكلفتهم ، ثم هو خارج عن معتاد البشر ، ولا يمكن أن يتلزمه أحد في كل مقام .

وينظر للفائدة : جواب السؤال رقم : (9229) ، (118095) .

والله تعالى أعلم .